مجلة

كلية التـــراث الجامعة

مجلة علمية محكمة

متعددة التخصصات نصف سنوية

العدد الثالث والثلاثون

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر (الدولي الثالث)

27 آذار 2022

ISSN 2074-5621

رئيس هيئة التحرير

أ. د. جعفر جابر جواد

نائب رئيس هيئة التحرير

أ. م. د. نذير عباس ابراهيم

مدير التحرير

أ. م. د. حيدر محمود سلمان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق 719 لسنة 2011

مجلة كلية التراث الجامعة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم (ب 3059/4) والمؤرخ في (2014/ 4/7)

قدسية الفضاء في شعر الاغتراب العراقي

م.د. وسن علي عبد الحسين الزبيدي

معهد الفنون الجميلة الكاظمية المقدسة للبنين

الملخص :

يظهر هذا البحث المكان المقدس وتوظيفه في مسرح الاحداث للقصيدة الشعرية المغتربة عند الشعراء العراقيين في المهجر , وتسليط الضوء على مصدر ومرجعية هذه الصور ورمزيتها وقيمتها الفنية في شعر هؤلاء الشعراء الذين استلهموا تلك الصور الفنية من تراثهم الديني الموروث الذي تشربوه من ثقافتهم الدينية كذلك ما اطلعوا عليه من مقدسات الشعوب التي ارتحلوا اليها , وصوروه في ابداعتهم الفنية وشاركوه مع موروثهم الديني في صورة شعرية مبدعة , وإذ لم تطفئ الغربة والترحل عن الوطن , التوهج الابداعي والاحساس بالفقد في نفوس هؤلاء المبدعين , وبينت الدراسة مدى قدرة هؤلاء الشعراء في بناء الصورةالفنية للمكان الديني وتوظيفه فنيا في رواق القصيدة المغتربة , مستنطقة رؤى وفلسفة المكان المقدس وتأثيره في المتلقي والعلاقة بينه وبين الشاعر المغترب .

الكلمات المفتاحية : التراث , النص الديني , شعراء الغربة , التقنيات الابداعية , المخيلة الشعرية

Summary :

This research shows the sacred place and its use in the scene of events for the expatriate poetic poem of the Iraqi poets in the diaspora, and shed light on the source and reference of this image, its symbolism and its artistic value in the poetry of these poets who were inspired by these artistic images from their inherited religious heritage that they imbibed from their religious culture as well as what they have seen One of the sanctities of the peoples to which they traveled, and they portrayed it in their artistic creativity and shared it with their religious heritage in a creative poetic image, and since exile and departure from the homeland did not add the glow of creativity and a sense of loss in the souls of these innovators, and the study showed the extent of the ability of these poets to build the artistic image of the religious place and employ it artistically in The hallway of the expatriate poem, interrogating the visions and philosophy of the sacred place and its impact The sacred place and its impact on the recipient and the relationship between him and the expatriate poet.

Keywords: heritage, religious text, foreign poets, creative techniques, poetic imagination.

المقدمة :

النزوح عن الوطن واتخاذ التغرب فضاءا بديلا للبيت والاهل , على الرغم من مرارته, لم يطفئ وهج الإبداع الشعري لدى الكثير من الشعراء العراقيين ,لاسيما المغتربين منهم ,كذلك لم تقطعهم عن جذورهم المتأصلة في تراث موغل في القدم وموروث أدبي وفكري وثقافي تشربوه في وطنهم . بل إن الارتحال هو الذي فجّر ينابيع الإبداع لديهم . مستلهمين منه كثيرا من معانيهم وصورهم ، فنجد في شعرهم ظاهرة الحنين الى وطن ، والشعور بمرارة الغربة المكانية والزمانية والنفسية وحتى الجسدية ، الذي عكسه ابداعهم الشعري ، كل ذلك تمت صياغته في تقنيات شعرية مستحدثة ، أفادوا منها في بناء القصيدة المغتربة , و كان للنص الديني , حضوره العميق على مستوى الموضوع والفكرة ,وركن اليه الشعراء المغتربين ، موضوع البحث , وظهرت الاماكن الدينية من ابرز الرموز الدالة على وحدة الجماعة وتماسكها في صورهم الشعرية، فالمعابد والاديرة والكنائس والجوامع والمساجد والاضرحة الشريفة....الخ من الاماكن الدينية ، هي بؤرة المكان والمرجعية

لمصدر الصورة لدى الشعراء. ووجدوا في الاماكن الدينية ميدانا فسيحا لاثراء قصائدهم لما تحتله تلك الاماكن من قدسية في نفوسهم عبرت عن قلق وجودي إنساني ويحياه الشاعر بكيانه وذاته . كما إن الظلال التي ينشرها المكان الديني على القصيدة يمنحها بعدا شاملا وعمقا في التجربة وثراء في المفردات والصور(1) وتقودنا الميزة الجمالية الى مسألة الاثر الجمالي الذي تركته الاماكن الدينية في مخيلة الشاعر، وإنعكاس ذلك على بنية القصيدة ، فعلى الصعيد اللغوي والصورة فقد إنتشرت مفردات وصور الاماكن الدينية على مساحة ليست بالقليلة من قصائد الشعراء، (مكة ، الكعبة ، القبلة ، المدينة المنورة، الجنة ، النعيم ، الفردوس، النار ، سقر ، الجوامع ، المساجد ، المأذن ، القبلة ، المنائر ، المنابر ، المصلى ، المعابد ، الاضرحة ، الكنائس ، الملكوت ، العرش ، القدس)(2) وهذا ما نجده في نص الشاعر المغترب , وما وجده هؤلاء الشعراء في هذه الأماكن والفضاءات من رموز معادلة لما فقدوه من الأرض والوطن فكانت البديل لهذا الوطن الذي بات حلم في مخيلتهم . وحاولنا في هذه الدراسة استكشاف الجوانب الجمالية والدلالية في شعر الغربة العراقي وما له علاقة في توظيف ذلك التراث الديني من جهة وما اكتسبته تلك النصوص الشعرية من جماليات فنية بما استعانته من تقنيات تعبيرية من جهة اخرى متخذين من المنهج الوصفي التحليلي خطا قرائيا في فك رموز النصوص الشعرية داخل حدود البحث .

الدراسات السابقة :

1- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر , علي زايد العشري

2- جدل التراث والعصر , عبد الجبار القحطاني

3- التراث الديني ..مفهومه ووظيفته في الشعر العربي المعاصر .فاطمة فائزي

مشكلة الدراسة : التراث هو هوية الامة وخير معبر عنها وهو جزء من تاريخها ونهضتها عبر العصور ويضم التراث منجزات الامة ومكتسباتها الابداعية في أزمنتها السالفة وهذه المعطيات التراثية تكتسكب القداسة في نفوس الامة وهو ملتصق بوجدانها وضميرها الحي ومن ثم فان الشاعر خير من ينقل هذا التراث ويصوره في شعره لينقله للقارئ في صورة فنية ذات مرجعيات دينية موظفة بتقنيات حديثة تظهر وظيفة التراث في تجلية هوية الامة الحضارية .فاستمد هؤلاء الشعراء من المصادر الدينية وسيلة تحدثوا بها عن حقائق دينية وشخصيات واحداث بينت فلسفة الحياة ورؤاهم في التجربة الذاتية .

محددات البحث : شملت الدراسة مجموعة من الشعراء العراقيين الذين احتضنتهم الغربة وهاجروا وهجروا أرض الوطن فبحثوا عن هويتهم داخل نفوسهم وموروثهم الفكري والديني .

هدف الدراسة : تهدف الدراسة الى بيان تجليات التراث المقدس في نص الشاعر المغترب ,ومصدر الصورة الشعرية التراثية لديه ومدى مثاقفته لتراثه الديني في ظل تقنية شعرية حديثة . اما أهمية البحث فتأتي من تسليطه الضوء على جانب من تجارب الشعراء المغتربين ,وتناولهم لتراثهم المقدس وتناصهم معه في تشكيل الصورة الشعرية , واظهارهم لما يزخر به من مقومات لغوية وثقافية وجمالية متنوعة .

المكان المقدس في نص شاعرالغربة :

عندما اراد الشاعر (سعدي يوسف)إخذ ما يناسبه من فضاءه المقدس , لزرعه في تربة قصيدته والتعبير عن قلقه مما يتخبط فيه الواقع و رؤية شمولية لفاعلية هذه الرموز في ذاكرة المتلقي مطلقا الطاقات الكامنة فيها ذات الظلال الرمزية المكثفة , والملاحظ إن توظيفه لهذه الاماكن تأتي مقترنة بحالة قلق وتأزم وهو يعكس قلق الشاعر بين ألم الواقع والامال التي تحملها هذه الفضاءات الدينية.

يقول سعدي :

على باب جيان في قرطبة
رآه الندى يدخل المسجد المتوحد، في آخر الليل
كان الندى خصلا في جبين المسافر ، والليل
الى قوله : القت نوافذ قرطبة الورد،..
غطت به غبرة السفر // المستديمة فوق
قباء المسافر ، والتعب المر
في لفتات الجواد
وفي لحظتين راياه يخرج من باب مسجدنا
اغلق الباب سمرها، دوننا..(3)

ينفتح النص الشعري على تعبيرات توحي بحالة التأزم والقلق ،وتنقلنا هذه الصورة الى توهج الضوء الذي تلفه غبرة السفر عبر الزمن الذاتي للشاعر ليضيء وهج حياةٍ منتفضة على واقعها امامنا. فالباب فضاء بيئي يخلق هواجس قلقة تخلف وراءها غيبيات غامضة وآخر الليل زمن وجودي له وظيفته الرؤيوية الذاتية ، اما مفردة (الندى) رمز لحالة إنتظار الخصب، وتمثل النوافذ مساحة اتصال نصف مفتوحة تمنح التواصل من دون الخروج أو الدخول. اما (في لحظتين رأيناه

يخرج من باب مسجدنا) فدلالة على قصر الوقت المتبقي, اما نسق الصور المتلاحقة اسهم في رسم حالة التأزم والقلق والتحول (رأه الندى يدخل المسجد المتوحد ، كانت نوافذ قرطبة المشرئبة بالورد.. القت نوافذ قرطبة الورد، وفي لحظتين رأينها يخرج من باب مسجدنا، اغلق الباب ، سمرها دوننا).. اغلق النص على فضاء الذي بدأ به كأنه دورة زمان بدأها بالباب واغلقها بالباب ليعطي هذا الرمز (الباب) صفة كاشفة للواقع , ان الصورة التي اعطاها الشاعر هنا لم تعد وصفية بقدر ما اصبحت ملهمة للقارئ .

وحين يكون بين الشاعر وبين الالفة/ الوطن، بعد وفراق ،فإن مفردة (البلد) المتناصة مع الاية القرإنية تكون فضاء واصلا عبر الصور التي يستحضرها الخيال عن الوطن.يقول (نبيل ياسين):

مسني عاشقي
فتيبست. مثل صفصافة، وتكسرت مثل الرجاء.
ثم بين ثيابي، وبين دمي بلد
" فهل إنا حل بهذا البلد"
وهل هدأت تحت جلدي النبوات والإنبياء(4)

ان روح الشعر التي تعطي حسا غير واقعي لصورة مرتبطة بواقعها , فالتقت هنا صورتان خلقت تعاونا بين مخيلة الشاعر لمكانه المقدس وبين المكان الحقيقي المقدس "فهل انا حل بهذا البلد" , فتبادل الخيال والذاكرة المخزونة وظائفها في هذا التعاون المزجي بين الواقع والمتخيل المنشود للذات الشاعرة . فاعطت كلمة (البلد) ، مدلولا حركيا يسير الى الامام وصولا الى الاستقرار، انبثقت منها صورة جديدة للنص لتدوره الى فضاء من الخيال الذي يتخذ من الحقيقة الزمانية والمكانية جناحين للتحليق في فضاء صورة شعرية لا تحدها زمان ولا يزاحمه مكان.

اراد الشاعر العراقي المغترب تشكيل حيزا مقدسا تمتزج فيه الدلالات الدينية والإجتماعية والنفسية , واضفاء نزعة القداسة والاستثنائية لفضاءه الخاص, فهنا هو يوسع من مفهوم المقدس فيدخل فيه عناصر دنيوية ترتبط بما لدى الانسان من مشاعر واحاسيس انشأها للمكان الديني ، وربما يتمرد من خلالها على الواقع والبيئة:

المنائر اختفت من المدينة، الجسور صارت بجعا
وكنت تعبرينني- في ليلة ممطرة – كالبحر
صرت تعبرينني – الليلة كالامطار
محمود كان مؤمنا ، وفر من يد الاله(5) .

النص هنا يوحي بانقلاب وفوضى وتعرض الاماكن المقدسة للتخريب والتدمير بما أوحت بفقدان الاستقرار والامن (المنائر اختفت من المدينة). فزاد الاحساس بالخوف والقلق، لما يهبه الحس الديني من شعور اصيل وعميق في الوجدان والفكر بالالفة الجماعية، ويشعر الفرد بصلة حميمة ورابطة بينه وبين المكان الديني من جانب، وبينه وبين الافراد الآخرين.

ان الذات الشاعرة في امتزاجها مع المقدس الديني وواقعها المعيش ,انما هو تأكيد على التبادل في التأثير والتأثر , فتنعكس صورة واقع الشاعر على نصه الشعري . فاستدعاء الشاعر للرمز المقدس وتوظيفه له مناط بابتكاره وابداعه وقدرته على تفجير ما به من طاقات إيحائية , ومما استهوى الشعراء من تراثهم الديني الاماكن المقدسة في مكة والمدينة وكربلاء والنجف الاشرف ...، وإذ يأتي في مقدمتها (الكعبة المشرفة)، وما يستحضره الى جانبها من ابلاغ الرسول السلام والتشوق لزيارته وما يبعثه ذلك من الطمانينة في النفوس. وها هو الشاعر (ابو امل الربيعي) يناجي (مكة المشرفة) بقصيدة جاء بها:

الكـــون فـــي جـدل يهتـــز نشوانـا والـــروضُ فـــي دعـــةٍ يفتُّر جذلانا
وللسمـــوات تصـــــداحٌ وزغـــردة بشـــدوهـــا سبحـــت لله سبحانـــا
و(مكة)بعد عصر الجهل قد سعدت وغـادرت في بزوغ الفجر أشجانـا
والـوحي دوى لـــه في الافق هاتفه بشـــراك (آمنة)بالطهـــر مولانـا
بشـــراك فمـــن حبـــاه الله معجزة كما حبا قلبـه (موسى بن عمرانا)(6)

يكشف المقطع الشعري عن التلاحم الوجداني الذي يسوده الاطمئنان والسكينة ، وقد قرّ في روعة المتلقي هذه الخصوصية في الرؤى التي تقدمها شعرية النص التي استلهمت شاعرية المكان المقدس، استدعت دلالات متعددة عبر علاقات الحضور الذهني والغياب والتي مثلت منطقة اكثر حرية لحركة الوعي الفكري بين ما اشار اليه النص وبين مرجعية القارئ الثقافية , فشغف الرحلة الى ذلك المكان الذي ينفض من قلب قاطنيه وزائريه الاحساس بالغربة والضياع . فهو المكان الأوحد في الكون الذي يجلي الضيق والغربة عن النفس من دون سائر الاماكن.

فالذات الشاعرة عملت في استرجاع تاريخ اسلامي مشرق، اثلج قلوب الضعفاء والمقهورين.ونستشرف البقاع المقدسة في مطلع جديد عند الشاعر، مما يعكس مدى قدرة

الموضوع على إيجاد الافكار، وفتح آفاق الرؤية عن نص ابداعي جديد، وكأن الشاعر يحاول المضي بنا في رحلة ايمانية تشعر بالالفة المكانية. فيقول:

أزل عـن مقلتـــي أثـــر الرقـاد وكحلهـــا بأنـــوار الجـــواد
ودع ذكـــر العـــراق وساكنيـه وإن هـاجتـــك الام البعـــــاد

وبـــدد فـــي حنايـا الصدر هما ليحـــي اليوم فـي جذل فؤادي
وبـــارك امـــــة الاسلام في من بـــه نرجو الشفاعة في المعاد

في استدعائه للتراث وتوظيفه كرمز, له اطاره الزمكاني , أنيط بابتكار الشاعر وتميزه في ذلك. فتلاقي تراكيب النص وتوجيه بؤرة النظرالى حدث الميلاد هو محاولة لجذب خافق المتلقي الى ذلك المكان المقدس الذي رمز اليه بشخص (الامام الجواد)" عليه السلام" ،تلك الشخصية التي لها دلالاتها الدينية والتاريخية , أعطت هذا التميز للذات الشاعرة في انتقاء الرمز وتوليفه مع بقية العناصر الاخرى للنص الشعري واظهار ما به من طاقات ايحائية عبرت عن التجربة الشخصية والانسانية معا . وفي هذا الاستدعاء للموروث الديني اضفى مصداقية للنص جاعلا منها وجهة للالفة المكانية في حركة السياقات النصية التي تدور في فضاء النص , والشاعر في هذا الاستيحاء لقصة الامام الجواد وما وجد في اجوائها المكانية مجالا رحبا للتعبير عن الالم الوجداني والمحن الانسانية واتخاذها كأداة للوعي وفق الشاعر بتوظيفها كعنصر لايديولوجية مبدعة جمع لها ادلتها غير اللفظية في استنطاق الخطاب الشعري .

ان تعامل الشاعر مع مقدسه الديني تساعده في تشكيل الفضاءات الممتدة مقدسا دينيا في ذهن القارئ , من دون الوقوع في ضيق خصوصية تلك الفضاءات المرموز لها لتصبح الذات الشاعرة مرتبطة بما اختارته ,لكنها تنطلق مما اختارته للتعبير عن خصوصياته كذات مبدعة ووقدرتها الفنية في التوظيف أكثر مما يُظهر من مميزات الفضاء الموظف .

إن مما استهوى الشعراء العراقيين المغتربين من المقدس الديني هي (كربلاء) بمكانتها المقدسة – مكاناً يأبى إن يكون وطناً مخصوصا لساكنيه، فهو مرجع الافئدة الإنسانية المؤمنة به مكاناً إليفا معجزاً حتى اصبحت ظاهرة مميزة في نصوصهم الابداعية . ففضاء كربلاء غنيٌ بدلالات الفداء والتضحية والاستبسال وأرقى أنموذجا للصبر وتحمل المكابد والمثالية .فهي تحمل قدرا من الدراما والتراجيديا التي استهوت الشعراء في تبنيها ابداعيا وفنيا . يقول الشاعر :

شهرٌ به تسبى عيالُ محـــــمد والسبط فيـــه مبضـــع الشريـــان
شهرٌ به الآلامُ تعصر خافقـــي وحسيس نارالحزن في وجـــداني
في كل عام تستثير شجوننـــا ذكـــرى الاسى والدمع والاحزان
كل المصائب إن تعاظم رزؤها فمـــآلهـــا للمحـــو والنسيـــان
الا مصيبة سادة فـي (كربـلاء) من حبهـم يطفي لظى النيران (7)

في قراءة للنص السابق ومحاولة لفك شفرات الرموز الدينية الموظفة ودلالتها والتي هيمن عليها الفضاء المقدس في قصة كربلاء الحسين , فنجدها اختزلت في دلالة واحدة وعميقة ارادها الشاعر الا وهي ثقافة التضحية والصبر والتعايش السلمي المنشود لحل ازمة الواقع المتمثلة في الصراع القائم على مر الازل بين قوى التعسف والفوقية والاستبداد بالرأي وقوى المعارضة الناشدة للسلم والسلام ,فهي رؤية حضارية تنم عن وعي الشاعر بمقدسه وحضارته . فكربلاء غادرت دلالتها المعهودة الى دلالة جديدة معاصرة . رامزة الى البيت الكبير , الى الوطن المنهوب من القوى المستبدة والرافضة للغة الحوار والسلم .

ويمكن إن تكون لدلالة السلام والالفة والاستقرار لهذه الأمكنة والفضاءات أهمية من حيث البعد النفسي (للمكان) داخل النص، وداخل الصورة الشعرية الى جانب وظائفه الفنية وابعاده الإجتماعية والتاريخية والعقائدية التي ترتبط بالمكان ولا تفارقه حتى إننا نسترجع هذه السياقات والابعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه ، أو ما يرتبط به لذلك فأختيار المبدع لاماكن خاصة ، يستتبع إن ينهض وعينا معه بالحوار(8).

وفي نصوص ابداعية أخرى إذ يوظف فيها (باسم فرات) فضاءات دينية في بوح يعكس ابداعه الشعري ما يكسر فيه افق المتلقي بتمكنه في استعمال التقنية الفنية المناسبة فتصويروتوظيف فضاءات دينية قد تكون بعيدة عن معتقده وحدود تراثه القومي والعقائدي واظهر في هذ التوظيف الديني تجربة شخصية ,عكس فيها تنامي الصور التي تحمل القداسة لخصوصية تلك الاماكن من خطاب ديني يتسم بالوجدانية الشفيفة، حتى يحتضن المكان والزمان في سقوف معابد الرهبان. فيقول:

صلوت الرهبان تغلف سقوف المعابد
مع إنغام الطبول
حتى تتشابك فوق شجرة يجلس تحتها بوذا
مانحة الطمأنينة لناغا (9)

الصورة الشعرية في النص, اظهرت رؤية ذاتية سكنت سويداء المكان المقدس فتجاوزت الصفة الواقعية لذلك الفضاء المضيئ لطمأنينة سرمدية لسكن الروح . والرؤى المبدعة التي يتبادلها , ويستمطرها من فضاء المقدس في عفوية الرسم، في تصوير يحيل المجرد الموحي بالبراءة، جسدا محسوسا يسري الدفئ في جسد المحب[10]

يبقى التراث الديني للامة هو أثمن ما بحوزتها , وجذورها وهو قوتها وروحها , (التراث ليس حركة جامدة ,ولكنه حياة متجددة والماضي لا يحيا الا في الحاضر وكل قصيدة لا تستطيع أن تمد عمرها الى المستقبل لا تستحق أن تكون تراثا)(11) لذلك سعى شعراء الاغتراب الى احياء تراثه القومي والعقائدي بكل مشخصاته وتجلياته , فهم ادركوا (أنه لا نجاة لشعرنا من الهوة التي انحدر إليها بغير ربطه بتراثه العريق بما في ذلك التراث من عوامل القوة والنماء)(12) وفي هذا الاطار استلهمت الشاعرة (آمال الزهاوي) من تراثها الديني ما يخدم تجربتها ووظفته بما ينسجم مع طبيعة الرؤيا لديها فحملت لغة تحمل طابع الاصالة والتجديد معا . فاستحضرت رمز دينيا يميل بقوة الى السؤال الوجودي والفلسفي، وعبرت عنه بأدواتها وتقنياتها فعرضت تلك الافكار بشكل ايمائي اشاري. فتقول:

وتخرج يا آدم الشاعري
من الجنة الوارفة
غاضباً من هرائك
مما يسمى " عادك"
وتنذر جسمك للدود(13).

يتلقى القارئ لهذا المقطع الشعري صدمة قلب الصورة الحقيقية لحدث قصة ادم ومرجعيتها المعروفة الى قصة مستوحاة من رؤى الذات الشاعرة في تصويرها لاحداث أزمتها المعاشة في واقعها المتأزم والاحداث التي يعيشها بلدها العراق ليتقاطع التوظيف الديني فيدخل في بناء الوحدة العضوية للقصيدة والتي تُشكل بنية النص . عالم المثال مقابل عالم الواقع ، (فالجنة) هي المحور الذي دارت عليه تجربة الذات الشاعرة مسترجعة لحظة تاريخية في احداث قصة آدم وخروجه من الجنة . ونرى الصورة مشحونة بألم الذات وغضبها على الواقع في مقابلة بلاغية مبدعة بين القصة الحقيقية وبين ما جاء في النص وكأنها تقول ان الاخطاء التي يقع فيها الانسان واردة وانها قد تخرجه من جنة النعيم التي كان يسكنها فيتحول فضاء سكناه الى جحيم يأكل الجسد كما يأكل الدود جسد الانسان الميت .

وهذا ما يلفت نظر المتلقي الى رؤية الشاعرة , وعرض ما تضمر وراء هذا الفضاء الديني الموظف .وقد جسدت مفردات (الارض والسماء) قيم الحق والعدل والنقاء ، مقابل عالم الظلم والباطل والفساد الذي يتملك النفس البشرية . وفي مقطع آخر تقول في قصيدة(دخان):

نفثت دخان الخوف مئذنة
تصلي
كي تموت
تبغ إنا ...[14].

الصورة الحدثية في النص تعطي أستباق زمني، قصدت الشاعرة منه تقريب الرؤية للمتلقي بعد إن حملت مفرداته صوراغامضة، مثيرة للاسئلة عن مصدر الخوف الذي تنفثه المأذنة، فيصل الى نهاية محددة (كي تموت) . وهنا احسنت المبدعة في مفارقتها ، وتوظيفها في جعل(دخان الخوف تنفثه مئذنة) لتستبدل تلك الصورة القدسية لصوت المئذنة، وما تمثله من ايماءات روحية في روع السامع.

إن تعامل المبدع مع فضاء لا ينحصر في استعراض محتوياته وصوره، أو يحدد جغرافيته فقد يذكر اسم ذلك المكان، أو الركن أو ما يرمز اليه ، حتى يدرك المتلقي حدود تلك الأمكنة ويعايش تجربة المبدع فيها. فيكسب النص عبر تلك الافضية أبعادا نفسية و اجتماعية وتاريخية
وعقائدية(15)، حتى إننا ((نسترجع هذه السياقات والابعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه ، أو ما يرتبط به))(16).تقول (ورود الموسوي) في (بوابة الليل ...!):

يدخل الليل كأيقونة معبد
تهاوت جدرانه فتعرى
مثل كنيسة لامسها النسيان
فأستوت للريح(17)

التصور الشعري للمقدس يعد ابداعا فنيا يخرجه من دائرة المقدس الى ايقونة فنية تسبر أغوار الذات الشاعرة , ليعيد مبدعه رسم ألوانه ودلالاته منطلقا من التوظيف الرمزي للذات الممتلئ بقيم جمالية .في مقطع الشاعرة العراقية نلمح إيقونة ملهمة منزلة لوحي الليل الى أرض الذات فتتماهى معها في بناء صورتها المتعرية من الوجود المتهالك ,فجعلت (الكنيسة) بؤرة للتكثيف الصوري ، والدلالي للرؤية الابداعية وعبرت عن تجربة تدور حول وحدتها وغربتها فتكون هذه الصورة المرئية شاهدا على حالة الشتات والتمزق. تتكون هذه القصيدة من سبعة مقاطع تتخللها اربع حركات، تنطلق كل حركة من البؤرة(يدخل الليل) فيشكل دوائر حلزونية في بنائها لا نستطيع لمسها الا عن طريق لغتها الشعرية بكل الوانها وارهاصاتها .لتنهي حركتها الزمكانية بإنتهاء النسق وتحلله في النقطة التي بدأ منها ، فتنطلق الحركة الثانية وهكذا ... لترمي في روع المتلقي صدى رسالة مشفرة فنيشغل الذهن في فك رموز تلك الدورة الزمكانية الليلية،التي لا ضياء في بوارقها. تقول الشاعرة:

(يدخل الليل حديقة الكون)
أكون محض ليل يتخايل في جسد
محض ليل مفتن في المعبد المعتري
في الكنيسة المستوية ريحا
ها إنا ذا اكسو العالم من دثاري[18]

يحكي النص عن غوص مسالك المغامرة (محض ليل) فيبين المقطع السابق نظرة المبدعة الشمولية للكون،وعناصر الوجود (وهي نظرة دائرية تؤمن بالعود الابداعي للاشياء ،والنسق الدائري يتنظم اشياء الوجود) (19)تشكلت في نسق المفردات والصور لتحكي معاناة الذات المبدعة وتأملاتها، وهي تسعى لتقويض اركان الواقع الفاسد، وبناء مجتمع تشيع فيه انوار الحب والخير:

يدخل الليل حديقة الكون
حامل سلاسل روحي كالحكايات العتيقة
يدخلني مفاوز السماء
سارب
الضوء
اراني محض سديم
محض وجود (20)

نرى في رؤية متلقي للنص ان الشاعرة اصنعت مقدس خاص بها قد يكون له مرجعية جقيقية في ارض الواقع . وجعلت من مقدسها فضاء سردت فيه احداث قصتها مع صوتها الآخر وهويتها المقدسة في تلك الرؤية السماوية للشاعرة .وقد ختمت دورتها بالاعلان عن استمرار البحث عن ذلك الفضاء الذي تلامس من اطراف السماء لتهدأ الروح وتستقر في سكنه . فقد جعلت الدائرة مفتوحة لإن البحث مستمر عن الهوية والوطن واليد . فتقول:

الآمس اطراف السماء
اتحول روحا تسكن ارواح الليل
تبحث في سكونه
عن ذات
عن هوية
عن وطن (21)

في نص للشاعر المغترب (صلاح فائق) يعرض لنا رؤية استباقية يعتمد فيها تقنية الخلاصة في الحكي – سرد احداث ووقائع ، اختزالها في ليلة بدت لا نهاية لها موظفا خصوصية المكان ليسهم في إيجاد المعنى ، ويحول هذا العصر السردي الى اداة للتعبير عن موقفه ، وايدلوجية من العالم . يقول:

في هذه الليلة
الاف الطيور ترافق جنازة فلاح
عبر دروب جبلية
في هذه الليلة
ينفتح منتصف احلامي
فأرى قطارا ينهار
يغوص في بحر بلا أمواج ولا قرار
في هذه الليلة

مئذنة تتشبث بها نساء
تظهر
ترتفع من هاوية (22)

الانفتاح الزمني للنص , يتم في مساحة المكان ففتح النص زمانه عبر المكان المبئر من لدن الشاعر ، الذي جعل احداث ليلته بالنسبة للقارئ شيئا ممكن الوقوع فيوهم بواقعيتها فتشكل الصورة الشعرية من ثلاثة مقاطع الأول يشير الى حدث التشييع للجنازة التي شارك الطيور في تشييعها وقد حدد مكان الحدث (عبر دروب جبلية) ثم يكرر جملة (في هذه الليلة) مما يجعل القارئ منتظرا الحدث الذي يأتي عبر عملية السرد (ينفتح منتصف احلامي) فيجسد تعلق الحاضر بالذات المتكلمة ويشكل ما يشبه خلاصة تجربة حياتية ما (فأرى قطارا ينهار / يغوص في بحر بلا امواج ولا قرار).

ونرى المقطع الثالث يصور (المئذنة) التي ترسم ملامح فضاء ديني في الذهن للخلاص من سلسلة الاحباطات التي يعانيها الفرد في أماكن الوجود, فتحيل هذا الاخير الى فضاء مفتوحا يوحي بألالفة والامان .

الخاتمة :

انطلق البحث في التركيز على العلاقة الحيّة بين الإنسان وفضائه ، وانطواء ذات الأديب على رؤية شمولية لكل فضاء، و ارتباطها بعناصر الوجود الكوني ، واعادة ترتيب تلك العناصر بحسب اهميتها التي تناط بها بما تراه الرؤيا الشعرية والزمن وحدس المبدع. ليظهر من خلاله العلاقة بين المبدع وواقعه، ونظرته لذلك الواقع ودرجة استلهام المقدس لديه ، وقدرته الفنية فى بناء فضاءات ابداعية مستوحاة من التراث المقدس عبر النص الشعري . وهو مما يجعل الفضاء يشكل موضوعاً فكريا يُنشئه باجزائه جميعاً ، طابعه مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة , وفي مثل هذا النمط التصويري , ترتسم امامنا صورة الفضاء الديني في عيون شعراء الاغتراب العراقيين، وتجلي موضوعا يفيض روحانية وعاطفة صادقة، وخطابا تجتمع فيه الذات بذوات الساكنين تلك الديار، وصوراً يقتنصها الشعراء في اثناء ترحلهم الى البقاع المقدسة، اذ نجد خيالاتهم الشعرية محلقة بجناحي الزمان والمكان. خالقين أحيانا فضاءات مقدسة لها مرجعية من ذات الشاعر مستوحاة من مرجعيات واقعية ,وجعلها أرضية لسرد رؤى ذاتية تحكي ما يغور في النفس الشاعارة من هموم ووضع متأزم وجدته فضاءات الغربة المكانية , لتزيد تعلق الروح الشاعرة وتأصلها مع تراثها القدسي في أرض الوطن والتصاقها بوهيتها الدينية .

الهوامش //

(1) ينظر: اثر التراث في الشعر العراقي الحديث: علي حداد ، دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 1986، ص8.
(2) ينظر: الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم ، حسام الالوسي، مج عالم الفكر- الكويتية ، ع2/ 1977.
(3) الاعمال الشعرية الكاملة , سعدي يوسف , ص 178 – 179 .
(4) الشعراء يهجون الملوك , نبيل ياسين ص10 .
(5) ديوان مقبرة الاحساس (قصيدة نبوءة الآلهة) وسن منى ,ص29 , وينظر :ص 87 .
(6) ديوان الديار المحجوبة , ابو أمل الربيعي , ط1 ,قم , ص25 .
(7) نفسه ص 53 .
(8) ينظر : جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور , د. متحت الجبار ,مج الف ,القاهرة ,ع6 – 1986 , ص28 .
(9) الى لغة الضوء (مجموعة شعرية) , باسم فرات , ص 23 .
(10) ينظر : نفسه , ص 24 ، ص25، 27 ، 29 ، 33 ، 35 ، 62. .
(11) صلاح عبد الصبور , حياتي في الشعر , دار العودة – بيروت ,ط1, 1969 , ص113 .
(12) نفسه ص58 .
(13) ديوان نوارس تقترف التحليق , آمال الزهاوي ’ 63 .
(14) نفسه ص 101 .
(15) ينظر : بلاغة المكان , فتحية كحلوش , ص 24 .
(16) شهادة في شعرية الأمكنة , عز الدين المناصرة , مكتبة برهوم , للنشر والتوزيع , عمان – الاردن , ط1 , 1992 , ص28 .
(17) ديوان وشم عقارب , ورود الموسوي , ص 9 .
(18) نفسه ص9 .
(19) الزمن في الادب , هانز ميروهوف , تر : اسعد رزوق ,ص90 , وينظر : لحظة الآبدية , سمير الحاج شاهين ,ص87 .
(20) وشم عقارب , ص12 .
(21) نفسه , ص15 , تاريخها 28 – 5 – 2004 . ينطبق هذا النموذج على الزمن الدائري في الشعر .

(22) مقاطعات واحلام , صلاح فائق , ص8 .

فهرس المصادر

1- اثر التراث في الشعر العراقي الحديث , علي الحداد , دار الشؤون الثقافية, بغداد , 1986 .
2- بلاغة المكان,- قراءة مكانية النص الأدبي - فتحية كحلوش , الأنتشار العربي, بيروت –لبنان, ط1 , 2008 .
3- جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور , د . مدحت الجيار, مج الف – القاهرة , ع1 , 1986 .
4- الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم و حسام الألوسي , مج عالم الفكر – الكويتية , ع2, 1977 .
5- لحظة الأبدية – دراسة الزمان في أدب القرن العشرين – سمير الحاج شاهين , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , 1980 .
6- مشكلة المكان الفني , بقلم يوري – لوتمان, تر: سيزا قاسم, مج الف القاهرة , ع6, ربيع 1986 .
7- شهادة في شعرية الأمكنة , عز الدين المناصرة , مكتبة برهوم للنشر والتوزيع – عمان- الأردن , ط1 , 1992 .
8- الشعر والتلقي , علي جعفر العلاق , دار الشروق , عمان , ط1 , 1997 .
9- القول الشعري – منظورات معاصرة – رجاء العيد , منشأة دار المعارف , الأسكندرية , ط1 , 1997 .

الدواوين :

- الاعمال الشعرية الكاملة سعدي يوسف , دار المدى سوريا, مجلد4 , ط 2-5 , 2002- 2003 .
- الشعراء يهجون الملوك , نبيل يوسف , دار الحرية للطباعة , بغداد, 1978 .
- مقبرة الأحساس , وسن منى , مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية , بغداد , ودار صفحات – سوريا ,ط1 – سوريا .
- الى لغة الضوء , باسم فرات , دار للحضارة للنشر القاهرة _ ط1 , 2009 .
- الديار المحجوبة , أبو أمل الربيعي , قم , ط1 , 1411هـ .
- بلوغ نهر , باسم فرات , دار الحضارة للنشر القاهرة , ط1, 2003 .
- نوارس تقترف التحليق , ريم قيس كبة, مكتبة غانم محمد للنشر , بغداد , ط1 1991 .
-
- وشم عقارب , ورود الموسوي, دار الفارابي , بيروت – لبنان ,ط1 , 2007 .
- مقاطعات وأحلام , صلاح فائق , سيبو – فلبين , ط2 , 2011 .